نوال مهنّى

قصيدة النثر

وتأثيراتها السلبية على الشعر العربي

(دراسة)

Editions Al-Adab 1923
42 Opera Square - Cairo Tel:(202)23900868

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

إهـــــــداء ٢٠١٠

دار الكتب و الوثائق القومية

القاهرة

قصيدة النثر

وتأثيراتها السلبية على الشعر العربي

تأليف

نوال مهنّى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

هاتف: ٢٣٩٠٠٨٦٨(٢٠٢)

e-mail :

adabook@hotmail. com

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر

مكتبة الآداب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة

لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية

مهني ، نوال

قصيدة النثر وتأثيراتها السلبية علي الشعر العربي

دراسة / نوال مهني – ط ١ – القاهرة

مكتبة الآداب ، ٢٠١٠

٥٢ ص ، ٢٠ سم

تدمك ٢ ٢٢٥ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١- النثر العربي – تاريخ ونقد

أ- العنوان

٨١٩.٩

عنوان الكتاب : قصيدة النثر وتأثيراتها السلبية علي الشعر العربي

دراسة : نوال مهني

رقم الإيداع : ٢٠١٠/١١٦٦٠

الترقيم الدولي : 978 977 468 225 2

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا – القاهرة

هاتف: ٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢)

e-mail: adabook@hotmail.com

في البدء كلمة

الشعر العربي هو عنوان الأدب العربي كله ، وهو القول الجميل البديع البليغ الساحر ، الذي يسبي الألباب ويستميل القلوب ، ويمتلك من المزايا ما لا يمتلكة أي فن آخر من فنون اللغة ، مثل التكثيف الشديد في المعاني ، والقابلية للتلحين والغناء ، والاستشهاد به في المواقف الحياتية المختلفة ، والإيقاع الموسيقي الذي يؤثر في نفس المتلقي .

والشعر وعاء عميق متنوع ، يحوي القصيدة والموشحة والأنشودة والملحمة ، كما أن بيت الشعر الواحد يحوي الحكمة والعبرة والمثل والفكاهة والقصة .

ولما كان الشعر أسمى وأرقى فنون الكلمة ، كان من الضروري أن يكتب بلغة خاصة يطلق عليها أهل القريض **"اللغة الشاعرية"** ، ذلك لأن الإبداع الراقي والفن الرفيع يحتاج بالضرورة إلى لغة رفيعة ، واللغة العربية حافظت على بقائها وازدادت قوة واتساعًا بفضل القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين ، وهو بلا شك المدرسة الحية للغة العربية الباقية إلى يوم قيام الساعة، والشعر العربي كما ورثناه عن العرب كان

ذروة البلاغة والفصاحة عندهم ، وتلك خاصية لا يطاوله فيها قول من أقوال البشر .

وقد رأينا في عصرنا الحالي بعض المارقين من أبناء العرب المتشبهين بالغرب ، الجاحدين لتراثهم ، يتهجمون على الشعر ويحطون من قدره ، في محاولة لـهدم هذا البناء الراسخ الشامخ ؛ متعللين بصعوبة قواعده وكثرة قيـوده ـ في زعمهم ـ وما هـذه القيود سوى ضوابط الفن وأصوله ، وما رفضُهم لها إلا لعيب فيهم وضعف في مواهبهم ، وهو دائما عيب من يحاول ما لا يستطيع فينتهي إلى الهدم ، ولم يتعظوا بحكمة الشاعر القديم :

إذا لم تستطِعْ شيئًا فدعْهُ وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ

وكان لا بد من التصدي لهذه الهجمة الشرسة الغاشمة التي استباحت حمى الشعر ، وتوضيح تهافتها وفسادها وخطرها على الشعر العربي ، ووضع هؤلاء الأدعياء المتشاعرين في حجمهم الطبيعي ، والانتصار لفن العربية الأول ، والله نسأل التوفيق والسداد .

المؤلفة

قصيدة النثر
وتأثيراتها السلبية علي الشعر العربي

طوال مسيرة الأدب العربي الطويلة منذ العصر الجاهلي وحتى الآن ونحن نعرف أن الشعر شعر والنثر نثر ، فكل منهما فن مستقل بذاته ، له أصوله وقواعده المتعارف عليها ، ولا ينبغي الخلط بين الأجناس الأدبية .

وبمرور الزمن يزداد التخصص ، وتظهر فنون جديدة ، هي في الحقيقة روافد من المنبع الأصلي ، تستمد وجودها منه ، وليست بديلة عنه ، والفن بطبيعته ظاهرة إنسانية قابلة للتطور ، ولذلك خضع الشعر العربي ـ مثل غيره من الفنون ـ خلال مسيرته التاريخية لمراحل من التطور ، وظهرت به فنون جديدة لم يعرفها الجاهليون ، وكان الشعر يرتقي ويزدهر حينًا ويضعف ويضمحل حينًا آخر بفعل عوامل كثيرة وظروف عديدة لا مجال لذكرها الآن أو الخوض فيها ، ولكن البقاء دائمًا للأصلح ، فبعد مراحل الضعف كان الشعر يعود حيًّا نابضًا بفضل جهد النابغين المخلصين من أصحاب المواهب الحقيقية ، وبمساعدة عوامل أخرى تزامنت مع هذا الجهد ، ورغم هذا ظل الشعر شعرًا والنثر نثرًا .

ثم ظهرت في عالمنا اليوم بعض الجماعات التي تنادي بهدم الحواجز بين الشعر والنثر ، وقيام مشروعهم الجديد المسمى بقصيدة النثر ، ذلك اللون الغريب المتناقض الذي ظهر أول ما ظهر في لبنان على أيدي مجموعة من الرافضين سموا أنفسهم شعراء الرفض ، فهم رافضون للعقل والمنطق والدين والشريعة وقيم وأعراف المجتمع ، وهم أيضًا رافضون لكل نظام يتعلق بأصول القصيدة العربية ، وينظرون إلى التراث باحتقار شديد على اعتبار أنه سبب تخلفنا ، أما هدفهم فهو التحرر والإباحِيَّة ، وهدم كل ما هو أصيل ومقدس ، والجنوح إلي الإبهام والغموض والعبث كأدواتٍ لإقامة مجتمعهم الحداثي الجديد كما يقولون ، زاعمين أنهم أتَوْا بما لم يستطعه الأوائلُ .

بينما هم كما يرى العلامة د . محمد عبد المنعم خفاجي « يشنون الحرب الدائمة على الثوابت التي جاء بها الدين ، ويدمرون كل القوانين والأعراف والقيم في الشعر والبلاغة ، ويحاربون المواريث الثقافية والأدبية والنقدية في اللغة العربية الفصحي »[1] . وحقيقة الأمر أن هذه الحركة الخبيثه التي سادت الشعر بخاصة والأدب بعامة قد أساءت إلى الشعر إساءةً بالغة ، وهي وإن بشَّر بها

١ـ القصيدة العربية وعروضها القديم والحديث ـ د .محمد خفاجي ص١٧٥.

بعض دعاة التغريب المغرضين وذوي الميول الأجنبية والعملاء فقد تابعهم نفر غير قليل من الأدعياء وفقراء الموهبة ، الذين وجدوا فيها من اليسر والسهولة ما يجنبهم مشاق العروض والقوافي وإتقان اللغة ودراسة التراث وما يحوية من تاريخ وفلسفة .

لقد أراحوا أنفسهم من العناء والجهد ، إذ يكفي أن يمسك أحدهم بالورقة والقلم ويسجل ما يدور في ذهنه من هلاوس ورغبات ، ثم يخرج علينا مدعيًا أنه كتب قصيدة نثر « وقصيدة النثر بدعة جديدة في عالم مجانين الشعر اليوم ، فهو نثرٌ مقسَّم إلي جمل وفقرات لإيهام القارئ بأنه شعر حقيقي . . . وهو في الحقيقة نثر خال من الوزن والقافية »[1] .

ولست أدري كيف يكون النثر قصيدة !!

وتحت يدي نماذج كثيرة من هذه الكتابات المسماة شعرًا ، وأشعر بالمرارة والأسف عند قراءتها لما تحتوية من تفاهة وابتذال وألفاظ هابطة ومقززة ، وأسلوب رخيص يروِّج للرذيلة ويدعو للفساد ، وينم عن ذوق فاسد ونفوس مريضة .لذا أرى

١ـ المصدر السابق ص ١٧٨

تصنيفها ضمن كتب الجنس ؛ فلا علاقة لها بالأدب على الإطلاق ، وهى في مجملها خاوية من أي مضمون يفيد القارئ ، فقد نسي هؤلاء أن الكلمة أمانة ومسئولية ، وأصحاب هذا الاتجاه ما برحوا يفاخرون في نرجسية شديدة بأنهم يتبعون الأنماط الأوروبية ، ونسوا أو تناسوا أن ما يصلح في الغرب ليس بالضرورة يصلح في الشرق ، وهم يفاخرون بأنهم نبتٌ شيطانيٌّ لا جذور له ، فهم جيل بلا أساتذة ، وقصيدتهم المزعومة لا هي شعر ولا هي نثر ، بل هي جنس ثالث لا يخضع لأي نظام أو ضوابط أو أصول تحكمه كما يقول د . محمد عبد المنعم خفاجي: « ولـمـا كانت الحداثة هدمًا لكل نظام وقاعدة ، دون أن يوجد نظام وقاعدة « بديلة » ، أصبح العبث الفكري سمة بارزة فيها ، وسقطت في ظلمات الغموض وألغاز الطلاسم ، بدعوى أن الشعر نوع من السحر الحلال ؛ لأنه يهدف إلى أن يدرك ما لا يدركه العقل . . يترتب على ذلك قول شعراء الحداثة أن الشعر نقيض الوضوح ؛ لأن الوضوح يجعل القصيدة مسطحًا بلاعمق ، وأعجبُ كيف نحكم بعمق الفكرة في غياب الإدراك العقلي !! »[1]

---

١ ـ المصدر السابق ص ١٧٣

وهكذا يبدو التناقض في أقوالهم ، والغريب أن كتّاب ما يسمَّى بقصيدة النثر يتهمون القراء والنقاد بالجهل لعدم فهم كتاباتهم المبهمة ، وهم يخاطبون الناس من موقع إرهابي ، ولسان حالهم يقول : إما أن تَفهم ما لا يُفهم ، وإما أن تكون جاهلًا ، وهذا منطق غريب مولع بالسادية ، فكتاباتهم إلى جانب افتقارها للموسيقى والخيال وإلى أبسط قواعد الفن وأصوله لا معنى لها ولا تسلسل منطقي يحكمها ، ولا يستطيع القارئ أن يخرج منها بشئ ذي بال ، فالأمر إذن لا يقتصر على الشكل الفني فحسب ، بل إن أغلب مفردات الحداثيين حافلة بالسخرية من المقدسات ومن الذات الإلهية ، ومليئة بالكفر والإلحاد والهلاوس ، ثم يزعمون أنها حل عبقري لمشاكل الإنسان في هذا العصر .

المشكلة إذن لا تتعلق بالشكل الفني وحده ، فرغم إهمال الأوزان والقوافي ـ على أهميتها ـ فإن هذا اللون من الكتابة لا يحتاج لقدرات خاصة ، بل بإمكان أي إنسان مهما قل شأنه وهبطت ثقافته وضعفت قدراته أن يدعي أنه شاعر لأنه يكتب قصيدة نثر ، حيث لا ضوابط ولاموهبة ولا إبداع ، تأمَّلْ قول أحدهم : « الجيم الجعرانية جابهت الجيم السنجابية فانبعثت جيم الأيديولوجية وتوجست الجيم الجيباء

فما جدوى جيمين هما جيم الشجب أو الجيم الجيلاتينية ؟ »[1] .

فهل هذا النموذج يدخل في باب الشعر؟! وهل يمكن للقارئ أن يفهم منه شيئًا أو يخرج منه بفائدة تعود عليه؟! وللأسف الشديد هذا الشاعر وأمثالة يتصدرون الساحة الأدبية ولا يسمحون لغيرهم أن يزاحمهم .

ويري د . محمد حلمي القاعود أنهم « يمثلون حالة من الادعاء والاستعلاء والعدوان في الواقع الشعري والاجتماعي المعاصر، فهُمْ ـ كما الهالوك ـ متسلقون لا يملكون قدرة على العطاء والمنح ، لأنهم عالة على عناصر وأدوات وظروف غير شعرية بالمرة ، جعلت لحركتهم ضجيجا يصم الآذان ، ولكتاباتهم دويًّا له فرقعة « الفِشْنك » يزعج ولا يخيف »[2] .

وهذا نموذج آخر يقول صاحبه أنه شعر ، أى والله هكذا يدَّعي .

رقصت للأفول

لجثة الإله

إلى أن يقول :

١ـ حسن طلب - آية حيم .

٢ـ د محمد حلمي القاعود - الورد والهالوك ص ١٧٧

انتظر الله الذي يجيء

مكتسيا بالنار

مزينا باللؤلؤ المسروق

انتظر الإله الذي يحار

يغضب ، يبكي ، ينحني ، يضيء

وجهك يا مهيار

ينبئ بالإله الذي يجيء [1]

هذا جزء من نص شعري كما يزعم صاحبه .

ومن أهم أسباب انتشار هذه الموجة الضبابية من الكتابة هو أن بعض المجلات الثقافية والأدبية المتخصصة تحتفي بها وبأصحابها ؛ لأن القائمين عليها ينتمون لهذا الاتجاه أو يتبنونه لأسباب غير معلَنة ، قد تكون مجاملة للبعض ، أو لمصلحة خاصة ، أو لتصفية حسابات مع الآخرين أصحاب الاتجاهات المعارضة .

كل هذا بالطبع أدى إلى انتشار هذه الكتابات واستفحال خطرها الذي استشرى في جسد الشعر كالسرطان والإيدز أو أشـد خطرا ،

١ـ أدونيس ـ الأعمال الكاملة

وهؤلاء المتشاعرون كما يقول الناقد المعروف د . محمد حلمي القاعود : « للأسف ما هم إلا جيل من المتسلقين ومحدودي الموهبة ، يتحالف أفراده لإرهاب الواقع الأدبي ، وفرض وجودهم عن طريق القوة أو العلاقات الاجتماعية المريبة ، فتفتحت أمامهم وسائل النشر ، ووجد بعضُ أصحاب الهوى فرصة لاستغلالهم لتحقيق مآرب فكرية أو شخصية ، فراح يبشر بكتاباتهم الرديئة ويفرد لها المساحات العريضة داخل الوطن وخارجه ، محاولًا تسويقها تحت دعاوى وشعارات لا أساس لها في الواقع أو الحقيقة »[1] .

إن الأدعياء و المتاجرين الذين نصبتهم بعض الجهات شعراء قد ملأوا الساحة ضجيجا ونعيقا ، وعاثوا في الشعر فسادا ، بينما أشياعهم يصفقون لهم ويباركون خطاهم لأسباب عديدة ، بعضها ظاهر جلي ، وبعضها باطن خفي كما سبق أن أوضحنا ، وكان الشعر العربي هو الضحية ، وكانت النتيجة انصراف القارئ والسامع عن هذا العبث المسمَّى شعرًا .

ربما كانت أكثر الحركات تخريبًا وتقدمًا هي مجلة (شعر) اللبنانية ، فعلى مدى اثنتي عشرة سنة هي عمر المجلة راحت تبث سمومها

١ـ محمد حلمي القاعود ـ الورد والهالوك ص ٧ .

إلى أن توقفت عن الصدور عام ١٩٦٤م بعد أربعين عددا من إصداراتها المشئومة ـ فبعضهم دعا إلى اعتماد اللهجات المحلية لغةً للشعر والتخلي عن الفصحَى مثل يوسف الخال الذي يرى «أن الشاعر حينما يكتب بالفصحى ويتحدث بالعامية فهو يقع في ازدواجية يحتاج معها أن يترجم لنفسه ما كتبه» ، وتابَعَه في مصر سلامة موسى ولويس عوض .

وبعضهم دعا إلى استخدام اللاتينية بديلًا عن الأبجدية العربية مثل سعيد عقل ، وجميعهم متفقون في وجوب القطيعة مع التراث وعدم خضوع قصائدهم لأي اعتبارات سياسية أو وطنية أو دينية ، بل لابد من الحرية المطلقة بدون ضوابط ، وليذهب الجميع للجحيم ، فهم متمردون على كل شئ ، رافضون لكل ما حولهم ، فالتمرد والرفض هدفان في ذاتهما . يقول أنسي الحاج : « وبالجنون ينتصر المتمرد ، ويفسح المجال لصوته لكي يُسمع ، ينبغي أن يقف في الشارع ويشتم بصوت عال ، يلعن هذه البلاد . . وكل البلاد متعصبة لرجعيتها وجهلها لا تقاوَم إلا بالجنون »[1] ، ثم يقول عن قصيدة النثر : إنها « نتاج أولئك المصابين بالمرض والجنون ، نتاج الشعراء الملعونين »[2] .

١ـ مجلة عمان صـ ٤٧ عام ٢٠٠٦ مقال بعنوان حداثة مجلة شعر / أحمد مذدور .

٢ـ انسي الحاج مجموعة ـ لن ـ صـ ٢١ .

هذه هي صورة الشاعر الحداثي كما صوَّره أحد أساطينهم ، أضف إلى ذلك ارتماءهم في أحضان الغرب ، وإعادة إنتاج نماذجه في التحرر والثورة على كل الثوابت ، وإهانة الحرمات والمقدسات . « إن موقف حركة « شعر » الرافض للتراث وتشديد أعضائها في غير مناسبة على أنهم ينطلقون في تجاربهم من أرض محروقة ، هو الذي جعلهم ـ أكثر من أي أمر آخر ـ يبدون للبعض مُهَجَّنين ومقتلعين من جذورهم ، وقد واجهت الحركة نتيجةً لذلك اتهامات وصلت إلى حد التخوين والعمالة وتهديم التراث العربي ونشر الفوضى »[1] ، وكذلك الحال مع بعض أعداد مجلات "حوار" و"فصول" و"مواقف" ، على أن الأمر ليس مجرد اتهام ، فقد ثبت تورط بعض كتابها كعملاء للمخابرات المركزية الأمريكية التي تولت تمويل أمثال تلك المجلات في العديد من دول العالم أثناء الحرب الثقافية الباردة لأغراض خبيثة .

ولعل كتاب (من الذي دفع للزَّمّار) للكاتبة فرنسيس استونر سوندز الذي ترجمه إلى العربية طلعت الشايب بمثابة وثيقة تدين هذا الاتجاه العميل « لكن الجديد في هذا الكتـــاب هو توثيـــق هذه

١ـ مجلة عمان صـ ٤٣ عام ٢٠٠٦ م - مقال بعنوان ـ حداثة مجلة شعر .

الـمعلومات للمرة الأولى ، والكشف عن حقائق غير معروفة من قبل ، وخاصة وجود خطة عمل كاملة قامت بها الحكومة الأمريكية عبر وكالة المخابرات المركزية ليس فقط للترويج لاتجاهات أدبية معينة ؛ وإنما أيضًا لخلق مدارس وتيّارات ثقافية كاملة ما تزال سائدة حتى الآن ، ردًّا على شيوع مدرسة الواقعية الاشتراكية لفترة ، ولتأسيس نظرية جمالية كاملة على المستوى العالـمـي تعبِّر عن الواقع الأمريكي الجديد »[1] .

وقد انتشرت هذه الموجة وسرَتْ مثل النار في الهشيم ، واقتحمت مجالات الثقافة بصفة عامة ، والأدب بصفة خاصة ، والشعر بصفة أخص . ورغم اكتشاف أمر هؤلاء العملاء وإغلاق هذه المجلات بعد فشلها الذريع وافتضاح أمرها ، فإن الحداثيين الجدد أنشأوا مجلات بديلة في كل قطر عربي لـمـواصلة الدور علي نطاق واسـع ، واستطاعوا تضليل الكثير من الشباب وخاصة فقراء الموهبة ورقيقي الإيمان ومحبي الظهور ، وإغراءهم بالانضمام إليهم ، فجاءت كتاباتهم فجة مبتذَلَة ، حافلة بالإباحية والاستهتار بالقيم ، واستخدام الرموز المقدسة في النصوص المدنسة بشكل سافر .

١ـ مجلة الأدب الإسلامي ص ٦٤ - العدد(٥٧)

مثال ذلك هذا النص الحداثي الذي يقول صاحبه :

أدخل جلدًا من الرمل يَغيض عنِّي الماء
أدخل النيل تهرب الأسماك
وتحتجب الغيطان
أعرف أن جلدتي خرقةٌ بالية
تلف الرمل والنيل
أسأل الذين في وادي الاستغناء يختصمون[1] .

أضف إلى ذلك أن تنكرهم لتراثهم هدفه القضاء على الهوية الثقافية ، وفقد الانتماء .

والمبدع الحقيقي لا يتنكر لتراث أسلافه ، ويفاخر بأنه نبت شيطاني منقطع الجذور ، وقد تصدى لهذه التقاليع المستوردة التي تتنافى مع قيمنا وأذواقنا ومبادئنا عددٌ من حملة الأقلام الغيورين والكتاب الأصلاء والمبدعين . . يقول : د . حسن الهويمل عن قصيدة النثر إنها « غامضة مبهَمة ؛ لبعد العلاقة بين الصورة والموقف مع خلق مضامين الكلمة ومد لولاتها »[2] .

١ـ عبد المنعم رمضان ـ الكرمل ـ ٤ / ١٩٨٤ ـ ص ٣٣٨ .
٢ـ د. حسن الهويمل ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد ٥٧ ـ ٢٠٠٨ .

كما يؤكد د . مصطفي هدارة أن الحداثة « تجاوز الواقع أو العقلانية ، أي الثورة على قوانين المعرفة العقلية وعلى المنطق وعلى الشريعة من حيث هي أحكام تقليدية ، تُعْنَى بالظاهر ـ هذه الثورة تعني التوكيد على الباطن وتعني الخلاص من المقدس والمحرم وإباحة كل شيء للحرية »[1] .

على أن كُتّاب الحداثة ليسوا وحدهم في الساحة ، وإنما يقاسمهم المواقع عدد كبير من النقاد والمنظّرين الذين يتفاخرون بترديد المصطلحات الغربية وأسماء الكُتّاب الأجانب من باب الاستعلاء والمباهاة وإيهام الجمهور بأنهم يفهمون ما لا يفهمه غيرهم ، ورغم أنهم لم يأتوا بجديد ، يقول عنهم د . عبد الحميد إبراهيم : « أقرأ للواحد من نقاد الحداثة ، فكأني قرأت للجميع ، وأقرأ كتاب الواحد منهم فكأني قرأت جميع كتبه . . . . لأن المصادر واحدة ، واللغة واحدة ، بل إن المصطلحات والأعلام تكاد تتكرر من ناقد إلى ناقد ومن كتاب إلى آخر »[2] .

ونقاد الحداثة مبهورون بالغرب ، يحفظون أسماء شعرائه عن ظهر

١ـ مقال د. مصطفى هدارة ـ صوت الكويت ٢/ ٩/ ١٩٩٢ م .

١ـ د . عبد الحميد إبراهيم - نقاد الحداثة وموت القارئ صـ ١٨٨

قلب ، ويقلدون نظراءهم الأوربيين تقليدًا أعمى دون فهم أو وعي ، حتى أنهم صاروا نسخًا مكررة ، ويطبّقون نظريات الغرب على إبداع الشرق محاولين إنبات زروع غريبة في تربة لا تصلح لها ، ومناخ لا يناسبها ، فراحوا يلوكون بألسنتهم ما يقدمه لهم المترجمون من نظريات ، فأصبحوا مثل الغربان التي تقلد البلابل ، فنفر منهم المستمعون .

والعجيب كما يقول الباحث الأديب عبد اللطيف الجوهري : « أن تجد هذا النوع من الموتورين وقد استخدمتهم واستكتبتهم بعض القوى المهيمنة في كبريات الصحف للتشويش على مشروع الأمة الحضاري في مواجهة قوى الاستعمار والاستكبار الجديد ، في الهيمنة والاحتواء على مقدرات الأمم والحيلولة دون وحدتها ونهضتها ؛ لتبقى أمة الإسلام ممزقة مستلبة »[1] .

وإذا عدنا إلى رواد الحداثة ، وخاصة أصحاب مجلة "حوار" الذي كان يرأس تحريرها الحداثي توفيق صايغ الذي توفي بصدمة قلبية عقب نشر اسمه في النيويورك تايمز ضمن قائمة الذين كانوا يتلقون دعمًا ماديًّا من المخابرات المركزية الأمريكية ، ومن أشهر

١ـ عبد اللطيف الجوهري ـ للحق والنهضة والجمال ص ١٨٨ .

كتاب مـجلة حوار أيضًا لويس عوض الذي حاول بعد ذلك شرح وتبرير دوره في المجلة ، أما مجلة "شعر" فنجد أن أدونيس كان أبرز كُتّابها ومنظريها على السواء ، وهو المثل الأعلى في التمرد والغضب والسخط والهدم والدعوة إلى القطيعة مع التراث ، ونبذ المواريث القديمة ، والتطلع لعالم جديد وشعر جديد ، والهجرة من الوطن أو التراث كما يقول في إحدى قصائده : « اترك الوطن المليء بالسواد ـ حيث لا مكان يغشى ـ حيث لا مكان حتى للريح » ، واحتذى الشباب النموذج الأدونيسي أكثر من غيره ، وخاصـة أن أدونيس هو أول من أطلق مصطلح قصيدة النثر على تلك الـكتابـات النثرية ، مستعيرًا ذلك الاسم من الكاتبة الفرنسية سوزان برنار في كتابـها « قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا » وإن لم يشر إلى ذلك ولو من باب الأمانة العلمية كما هو متبع .

ويرى الأستاذ سامح كريم « أن جوهر الحداثة عند أدونيس يعتمد على منابع أوروبية عامة ، فرنسية خاصة ، وبأكثر تحديدًا تعتمد على الأعمال الأدبية لبيرس ورامبو وبودلير وأندريه مالرو ، وعلى ذلك فإن هذه الـحداثة لا تتصل بجذور عربية إلا في القليـل

النادر »[1] ، وهذا معروف لدى الحداثيين جميعًا ، فهم رافضون للتراث العربي محتقرون لتاريخهم،مقتلعون من جذورهم ، وفي الوقت الذي ينبهر فيه الحداثيون العرب بحداثة أوروبا ، نرى في الغرب مَن حذَّر من خطورتها قائلًا : « إن فتنة الحداثة لا يمكن أن تقاوَم حتى عندما تقود إلى السأم والانحطاط أو الموت البطيء » .

إن انخداع الشباب بالحداثة يرجع لأنها تبدو ظاهريًّا وكأنها دعوة للتجديد والتحديث والتقدم والتطور في مواجهة التخلف والجمود ، فينساق الشباب وراء هذه الشعارات البرّاقة وهذا الوهم غافلًا عمّا تحمله من تمزق وتفسخ وإهدار لقيم الدين والمجتمع ، وقد عبَّر عن ذلك الأستاذ سامح كريم قائلًا : « وكثيرًا ما كان مطلب الشباب في الشعر أن يكون غامضًا ، وإلا لما أصبح شعرًا ، يحدث هذا مع أن لغتنا العربية تنفرد دون لغات العالم بالوضوح حتى من اسمها : العربية الفصحى ، حتى أن من مشتقات العربية: أعرَبَ أي أفصَحَ أو أوضَحَ أو أبان ، ومن مشتقات الفصحى: الفصاحةأوالوضوح والإبانة ، وأن من شرائط الأساليب الراقية في آدابنا العربية ما نبه إليه الأجداد في عبارة

١ـ من مقال للأستاذ/ سامح كريم-الأهرام ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٥

موجزة " السهل الممتنع " »[1] ، وقصيدة النثر تبدأ بالتناقض من اسمها ، فالكلام إما قصيدة وإما نثر ، وإذا كان أصحابها قد جاهروا بالقطيعة مع التراث ، فقد عمدوا إلى قطع العلائق مع القارئ ، بحيث وصلوا إلي طريق مسدود بفضل التعمية والإبهام والغموض غير الفني وغير المبرر ، مع أن من المتعارف عليه أن الإبداع عملية ذات وجهين ؛ لأنها علاقة بين مبدع ومُتَلَـقٍّ ، وإلا فلمن يكتب المبدع ؟ وما جدوى الكتابة ؟!

ويؤكد الشاعر العراقي محمد جواد الغبان « أن ما يسمى بقصيدة النثر تجمع النقائض ، ولا يصح أن يجتمع النقيضان ، هل يجتمع الليل والنهار أو الظلام والنور أو الحق والباطل ؟! فإما شعرٌ وإما نثر ، إضافةً إلى هـذا فإن ذلك النوع الغريب من الكـتابـة لم يضف شيئـا للشعر العربي ، بل أضر به . ولسنا ندعو للانغلاق وعدم التجديد ، ولسنا ضد التطور بشرط أن يكون التطور للأفضل ، وأن يحمل الجديد المفيد ، وليس التشوية الناتج عن العجز عن الالتزام بضوابط الشعر وأصوله .

١ـ سامح كريم ـ الأهرام ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٩ م .

ولغتنا العربية هي لغة الفصاحة والبلاغة والبيان ، وإذا تأملنا هذه الكلمات وجدنا أن الأفعال أفصح وأبلغ وأبان ـ وكلها تعني الوضوح ـ مشتقة من هذه الكلمات التي هي جوهر اللغة وقمة التعبير ، تأمل قول أدونيس فيما يسميه قصيدة : « غموضًا حيث الغموض أن تحيا ، وضوحًا حيث الوضوح أن تموت »[1] .

فهو يرى أن الغموض لأجل الغموض دون أن يكون له أي هدف ، ومن المفارقات العجيبة أن نرى واحدًا من جماعة مجلة "شعر" البارزين ينقدهم بشدة بعد انفصاله عنهم ، ويتهمهم بأقذع الألفاظ قائلًا : « إن جماعة هذه المجلة ضَحْلو الموهبة ، غير قادرين على دخول المعركة من باب الشعر الأصيل المنزه ، فراحوا يحاولون فتح أنفاق عديدة تحت الأرض للطم التاريخ العربي بأسره ، ليخوضوا المعركة خارج ميداننا ، ضد وَهْمٍ كبير يسمونه بكل رعونة الجمهور الأمّي ـ أوالغوغاء ـ والدليل على ذلك أن حكمهم النهائي على نجاح القصيدة هو أن يرفضها الجمهور ، أو يسخر منها ويشمئز ، وهناك وقائع عديدة عند هذه الظاهرة وقفتُ عليها شخصيا عندما كنت عضوا عاملًا ومخدوعًا بينهم طوال ثلاث سنوات ونيف »[2] .

١ـ أدونيس ـ الأعمال الكاملة ـ جزء ١ ص ٧١٧ .

٢ـ محمد الماغوط ـ مجلة الآداب البيروتية ـ يناير ١٩٦٢ ص ٥٧ من المقال .

وهكذا شهد شاهد من أهلها . وكذلك اعترف الكثيرون من أنصارهم بالعجز والفشل والإفلاس والهزيمة ، ربما ساعدت الظروف التي تمر بها الأمة العربية المغلوبة على أمرها في الوقت الراهن وما تعانيه من ضعف وتفرق على انبهارهم بالغرب ، « فالمغلوب مولع بتقليد الغالب » كما يقول ابن خلدون .

على أن شهادة الماغوط بأن جماعة حركة شعر " ضحلو الموهبة " وهم زملاؤه السابقون ، يعطينا دلالة ذات قيمة في الحكم عليهم ، فإذا كان هذا هو حال رواد هذه الحركة ، وأن انصرافهم عن الشعر الحقيقي نتيجة لضعف مواهبهم وإفلاسهم ، فكيف يكون حال التابعين والمقلدين ومن ساروا على نهجهم المضل؟! .

ويعلل د . كمال نشأت إفلاس أصحاب ما يسمى بقصيدة النثر بأنه نتيجة إلى افتقادهم لخصائصها الذاتية « وإذا فقد الطابع الذاتي ـ كما هو مفقود في أغلب شعراء الحداثة ـ تشابهت بصمات الشعراء جميعا ، وأصبحت حركة الحداثة الشعرية ملخصة في قصيدة واحدة يكتبها شعراء متعددون »[1] .

١ـ د . كمال نشأت ـ شعر الحداثة في مصر ـ ص ٣١٥ .

وينعي عليهم رفضهم لكل قيم المجتمع ومعتقداته ، وارتماءهم في أحضان الغرب ، وما يترتب على ذلك من مخاطر تضر بهوية الفرد ، وتسيء إلى كرامته وحضارته ، وتسلبه ذاته وخصائصه .

أوكما يقول : « إن هذه التعاليم والمعتقدات الرافضة ستجعل المواطن العربي كتلة هلامية لاجذور لها ولا أصل ـ كتلة بشرية مفقودة الملامح ، ضائعة ، لا هوية لها إلا الالتصاق والتمسح بالحضارة الغربية الحديثة ، تاركة تراثها وخصائصها القومية ، متجهة إلى الغرب وهي عارية تمامًا من كل شيء ، تستعير منه كل مقومات حياتها وآدابها وفنونها ، ويكفيها فخرا أنها تنتمي إليه »[1] .

والشعر كما نعلم هو فن العربية الأول ، وهو ميراثها الخالد ، وهو مصدر الفخر والاعتزاز للعرب ، ورمز الفصاحة والبيان عندهم . فيه تتجلى مواهبهم ، وتشتعل قرائحهم ، وتتدفق مشاعرهم ، وترقى معانيهم ، وبه يُحيون أفراحهم ، ويمجدون انتصاراتهم ويمدحون ملوكهم ، ويفاخرون بأقوامهم ، ويتغزلون بحبيباتهم ، ويرثون موتاهم ، ويصوغون حكمهم وأمثالهم ، وبه يستشهدون في خطبهم وأقوالهم . هكذا كان الشعر والشاعر من مفاخر الأمة عند

١ ـ د . كمال نشأت ـ امرجع السابق صـ ٢٥٦ .

العرب ، أي كان صنو حياتهم منذ أن وُجد الشعروقُصِّدت القصائد، فجاء إبداعهم فيه معجزة على غير مثال .

وتُوورِثَ الشعروتناقل بين العرب ، وكل جيل يجدد ويطور ويضيف لهذا الميراث الخالد الذي عشقة العرب ، فراحوا يتغنون به فيُطْرِبون ويَطـرَبون ، غير أن الحقيقة التي تبدو لكل ذي عينين أن المستهدَف الحقيقي للحداثة يتعدَّى حدود الشعر واللغة ، كما يؤكد الباحث محمد عبد الشافي القوصي ، حين يقول: « الحداثة هي إحدى أدوات الغزو الفكري وأسلحة التغريب ، وهي دعوة عريضة كاذبة ، وصناعة غربية نقلها الأعراب لتخريب الأوطان والمجتمعات والدين والتاريخ ، إذ أنها تدعو إلى استبعاد الدين والأخلاق والثوابت من مجال الفكر والعلم والتشريع والتربية والأدب والفن وبقية جوانب الحياة »[1] .

وإذا توقفنا عند الشعر ، وهو موضوع بحثنا ، ورحنا نجيل البصر في الساحة الأدبية ، سنجد أصحاب ما يسمى بقصيدة النثر يتجهون إلى الأساطير الوثنية والرموز المسيحية ، ويبتعدون تمامًا عن الرموز الإسلامية ، أو ينتقون الشخصيات المنحرفة التي لا تمثل الإسلام ،

١ ـ محمد عبد الشافي القوصي ـ الصفحات السود لمدرسة التغريب والحداثة ص ٥٥ .

أضف إلى ذلك أن كتابات البعض من كبرائهم ما هي إلا ترجمات لشعراء الغرب مثل إليوت ورامبو وبودلير وغيرهم .

لقد كان الباحث محمد عبد الشافي على حق حين أطلق على هذه الموجه الضبابية عبارة : " كناسة الشعر ، ومدرسة العبث ، وشعر المجانين إلخ . . . " ، وراح يحذر منها تحذيرًا مسئولًا « فليحذر أبناء الجيل الجديد من الشعراء من هذه الموجة الجديدة من العبث الفنى التي تريد أن تدمر الوجدان العربي ، وأن تدمر معه أدبنا وإحساسنا بالجمال ، وتطلعنا إلى النهوض والتقدم والتجديد الصحيح »[1] .

وإذا كانت الأمور تقاس بنتائجها ، فلنا أن نتصور ما وصل إليه حال الشعر اليوم على أيدي هؤلاء العابثين ، لقد انقسم الجمهور إزاء هذا الاستهتار إلى فريقين ، فريقٌ انصرف عن الشعر كليَّةً ، وفريق ما زال يناضل وسط هذا الدمار ويتصدى لهذا العبث ويبحث عمّـا هو أصيل وجاد بين الضباب والركام ، ولكن النتيجة المؤكدة أن القارئ لهؤلاء لا يفهم شيئًا ، وينطبق نفس الشيء على نقاد الحداثة الذين أعلنوا موت المؤلف ثم موت القارئ تمشّيًا مع المذاهب الغربية ، كما يـؤكد د . عبد الحميد إبراهيم قائلا: « وأتحدَّى

١ـ المرجع السابق ص ٧٥ .

أي قارئ أن يخرج من مؤلفات نقاد الحداثة بالعالم العربى ، بالفارق بين البنيوية وما بعد البنيوية ، والحداثة وما بعد الحداثة ، والسيميولوجية والتشريحية والأسلوبية والألسنية ، . . . لسبب بسيط هو أن المؤلف نفسه لا يفهم ما يقرأ ، هو فقط مأخوذ بالحداثة »[1] .

وهذا ما يؤكده د . عبد العزيز حمودة موضحًا أسبابه فى المرايا المقعَّرة « مِن غياب المشروع الثقافي القومي أو العربي ، إلى الخلط بين الحداثة التي تنتمي إلى سياق حضاري مغاير والتحديث الذي يعني الحفاظ على منجزات العقل العربي مع الاستفادة من منجزات العقل الأوروبي .

لكن المثقف العربي فضَّل القطيعة المعرفية مع الماضي وأعلن موت الثقافة العربية من أجل أن يختصر الطريق إلى الحداثة ، رغم ارتفـاع أصوات التحذير من بعض الـمثقفين العرب الذين انتبهوا إلى هذا المنزلق الخطير »[2] ، على أن أصوات الناعقين من متشاعري الـحداثة الـمنادين بتفجير اللغة وتـحطيم جدار الشعر العمودي ـ وكلها أقوال مجانين ـ أثارت عليهم العقلاء .

١ـ د . عبد الحميد إبراهيم ـ نقاد الحداثة وموت القارئ ـ ص ٥ .

٢ـ مجلة الأدب الاسلامى ـ العدد ٥٦ ـ مقال بعنوان ـ سؤال البديل وأزمة النماذج .

ولنستمع إلى شهادة الشاعر المتميز الشهير نزار قباني حين يتساءل قائلا : « من المسئول عن تلك الغوغائية الشعرية التي تسود الشارع الثقافي العربي والتي حطمت مصابيح الطرقات وإشارات المرور ، واقتلعت أحجار الأرصفة ، وأضرمت النار في المتاحف والمكتبات والحدائق العامة؟ من هو المسئول عن هذا التخريب المدروس المتعمَّد لكل ما هو جميل ، ولمّاح ، ومرتفع وحضاري في شعرنا ، وتكريس حكم الفوضى والإرهاب »[1] .

ثم يتابع في نفس المقال قائلا « إنني لست متعصبًا ولا شوفينيًّا ، ولا أخلط بين الإبداع والفوضوية ، ولكني أشعر ـ والمرارة تأكلني ـ أن الحداثيين أصبحوا من سكان حارة اليهود الشرقيين ، وأنهم يشكِّلون (لوبي) مضادًّا لكل مؤسسات الثقافة الشعرية العربية ، وهـذا اللـوبي ـ وأرجو أن تغفروا لي صراحتي ـ ليس سـوى تجمع سِرِّي ، مهمته تلويث البيئة وتحطيم البنية التحتيـة للمشروع العربي »[1] غير أن الحداثيين بعد أن سقطت أقنعتهم مازالوا يعملون ، ليس فى الظلام ، ولكن تحت الأضواء الساطعة التي تسلَّط عليهم بفضل أشياعهم الذين نصبتهم بعض الجهـات الرسمية شعراء ، ثم

١ ـ نزار قباني ـ جريدة الحياة ١٩٩٤م .

وضعتهم في المواقع الثقافية ، فكان همهم تلميع أشباههم من الحداثيين ، والإغداق عليهم بالجوائز التي حُرِم منها المبدعون الأصلاء . رغم صيحات التحذير التي تنطلق للتنبيه على خطورة هذا التوجه الذي يقلد الغرب تقليدًا أعمى .

كما يقول الشاعر يس الفيل : « لقد نادوا بالرمزية فسقطوا في الغموض والتعقيد ، وتصوروا الحداثة صوفية ، فذابوا هوًى فيمن لم يكن صوفيًّا (النفري) ، وعندما ضاقت لغة الغرب على فكره ، ونادى بتفجير اللغة رددوا النداء فى بلاهة ، دون أن يدركوا مدى اتساع لغتهم التى تطلق على الأسد " مثلًا " عشرات الأسماء ، مَن منا تشكَّكَ في الدهاقنة والمبشرين الذين فتحوا علينا أبواب الجحيم ، مستغلين تطلعنا . . ليؤكدوا لنا أنها جنات النعيم ، ومَن منا تشكَّك يومًا في الهدف الخفي لمجلتي « حوار » و « شعر اللبنانيتين » . . . دون أن ندرك أنهما كانتا الباب الخلفي الذي قادنا إلى الهاوية ؟ »[1] .

وإن أحسنّا الظن بهؤلاء فهم على الأقل أساءوا فهم الحداثة ، فالحداثة يجب أن ترتبط بالتراث ، وتكون نبتا أصيلًا في تربة الوطن وتعبيرا عن وجدانه الجمعي ، الحداثة أن تهضم قضايا عصرك

١ـ يس الفيل ـ الأوراق الشاعرة والبحث عن الجذور ـ المجلة العربية العدد (٣٠٥) .

وتعبر عنها دون أن تنفصل عن بيئتك وثقافتك ، وتعيد إنتاج ما استهلكه الآخرون ، فالحداثيون العرب هم في الواقع أدعياء الحداثة ، فكل ما قدموه ترجمة لشعراء أجانب دون أن يضيفوا شيئا مفيدًا ، ويرى الكاتب رجاء النقاش أنهم يخدعون أنفسهم قائلًا :

« وأخيرا فإن الذين يكتبون من أجل الناس أو من أجل الشعب ، كما يقولون ، إنما هم يحطمون كل التقاليد والقيود الفنية والأدبية ، لكي يقتربوا من الجماهير ، ومن حقنا أن نتساءل: أيَّة جماهير هذه التي يتحدثون إليها أو يتحدثون باسمها ؟ . . . هذا الكلام الملفق لا يمكن أن يصل إلى الناس سواء كان هؤلاء الناس من البسطاء أو من المثقفين»[1] .

ولعل الأغرب والأعجب أن معظم كتاب هذه الموجة الضبابية الهادمة لا يحسنون اللغة العربية ، وتكثر في كتاباتهم الأخطاء النحوية ، وهؤلاء العاجزون لغويًّا ـ قد عُين بعضهم أعضاء فى لجان الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة الذي يفترض أن يضم الصفوة من الشعراء والأدباء والنقاد .

---

١ ـ رجاء النقاش ـ الشرق الأوسط ٢٣/ ٣/ ١٩٨٥م .

أما العـلّامة د . شوقى ضيف فيقدِّم لنا بعض الطمأنينة حين يقول : « لا خوف على الأدب العربي إطلاقًا ، إن حياتنا الأدبية قد تمرض ولا تموت ، وتكبو لكن لا تطول كبوتها ، وقد حدث ذلك كثيرًا فى العصور الماضية ، أما عن الحداثة ـ كما أطلقوا عليها ـ فلا هي حداثة ولا هي دماثة ، بل هي ردة فكرية وثقافية ، والحمد الله أن هذه الدعوة الغربية الشاذة أوشكت أن تتلاشى فتذهب رياحها ، فشتان بين الأدب الأصيل والأدب الزائف ، وشتان بين الأخلاق والدِّعارة »[1] .

فما يكتبه الحداثيون لا يمت إلى الشعر بصلة ، ولا ينتمي إلى الشعر تحت أي مقياس ، ولا يعدو أن يكون نوعًا من الهوس والهذيان الذي لا يأتي به أو يستسيغه سوى المجانين والمأفونين ومن هم على شاكلتهم ، إن ما يكتبه الحداثيون انعكاس لنفوسهم من الداخل ، ولعلنا نتذكر أن بعض مدارس علم النفس تقوم بتحليل شخصيات الأدباء الراحلين من خلال أعمالهم على أساس أنها تمثلهم ، فما يكتبه الأديب أو المفكر يمثل محتواه الفكري والثقافي وميوله وتوجهاته ، فبعض الناس بداخلهم جنة وارفة الظلال ، مليئة بالرياحين والزهور ، وبعضهم بداخله غابة موحشة

١ ـ مجلة الدعوى السعودية العدد (١٧٨٣) ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٠م .

تسكنها الأشباح والأفاعي ، وإذا كان الإناء ينضح بما فيه فلا ينبغي أن ننتظر الرحيق والعسل من إناء مملوء بالعفن ، ولا يُنتظر أن يصدر الجمال عن نفوس تفيض بالقبح .

وإذا كان بعض المؤيدين لهم قد بالغوا في الاحتفاء بهم ، وتسويقهم على أوسع نطاق ، فذلك لأغراض خاصة ، ولحاجة في نفوسهم . حتى إن أحدهم أسماهم أحفاد شوقي مع أنهم في الحقيقة رافضون لشوقي منكرون لشاعريته ، ويعلق الكاتب اللبناني جهاد فاضل علي تسميتهم بأحفاد شوقي ساخرًا « ليس بينهم وبين شوقي أي صلة ، فهم ليسوا في العير ولا في النفير ، ولا شأن لهم بالمعايير الفنية الدقيقة ، ويكادون لا يعرفون ضبط عملية الإيقاع الشعرية الأوَّلية ،فإذا عرفوا هذا الضبط لم يعرفوا ضبط المعنى ولا ضبط الصورة ، ناهيك عن تجربتهم الكسيحة الفجة ـ هؤلاء نفيٌ لشوقي وشوقي نفيٌ لهم »[1] .

ويبدو أن عجز الحداثيين وإفلاسهم أوضح من أن يَـخفَى ، غير أن غياب النقد الحقيقي والتعتيم على الإبداع الأصيل جعل الساحة مهيأة لهم بمعاونة أعوانهم والمروجين لهم رغم تفاهة ما يكتبون .

١ـ جهاد فاضل ـ مقال بجريدة الرياض ٢٧/ ٦/ ١٩٩٢ م .

يقول أحدهم :

تسألني الأصابع عن بذرة المدى
وتسألني النساء اللاتي ينعسن
فوق الغرابيل القديمة عن نطفة الطمى
تدوسني الظلال
وينهرني الحراس الخزفيون
وأنا مارق بين تجاعيد العتبات أغني للصبح السريّ
الرجال نائمون على حصائر الخنوع
وأنا تحت شباك اليمام
أريد أن أخدش الوقت[1]

لست أدري ما علاقة هذا بالشعر ؟ كلمات لا يربطها رابط ولا تعبر عن أي معني ولا تحمل أي شعور ـ هل يمكن أن نسمي ذلك العبث إبداعًا ؟ !!! .

إن أكثر المتحمسين لهذا الاتجاه والمدافعين عنه لم يستطيعوا إخفاء ما به من عورات ضحالة الفكر وضعف الموهبة وإبهام وفقر لغوي ظاهر ، وقد أجمل ذلك الشاعر محمد أبو سنة الذي وصفهم

١ ـ أمجد ريان ـ جريدة الصباحية ـ جدة ٢٨/ ١٠/ ١٩٩١ .

بالرطانة نظرًا لإخفاقهم الذريع في فن الشعر فيقول : إنهم يشعرون بالولاء الشعري لغيبيات تأتي من بيروت ، وهذا الانخلاع يتجلى في قصائد تقترب من الهذيان والتوسل بأقبح الألفاظ .

ولنقرأ هذا النموذج الضال لأحدهم :

الله في مدينتي تبيعه اليهود
الله في مدينتي مشرَّدٌ طريد
أراده الغزاة أن يكون لهم
أجيرًا شاعرًا قواد
يخدع في قيثاره المذهَّب العباد
لكنه أصيب بالجنون [1]

لعل أبسط ما يوصف به هذا العبث هو التطاول على ذات الخالق الذي نقدسه ونسجد له .. أيُّ ضلال أبعد من ذلك ؟

والحقيقة أن هذه الآفة أصابت كل فروع الأدب والفن ، وتفشت في حياتنا الثقافية ، وأصابتها إصابات بالغة ، ولكننا قصرنا حديثنا على الشعر لأنه أكثر تأثُّرًا ولأنه موضوع دراستنا .

١ـ عبد الوهاب البياتي ـ ديوانه : كلماتٌ لا تموت ..

ولا يفوتنا أن نشير إلى رأي د . عبد القادر القط ، فقد وصفهم في غيرمرة بالعدوانية وعدم الأصالة ومحاولة إرهاب النقاد ، وفرض أنفسهم وتجاربهم الرديئة والبذيئة على المتلقي .

ويؤكد د . حامد أبو أحمد أن من يسمون أنفسهم شعراء السبعينيات هم عالة على الشعر الحديث الذى صار بسببهم يعاني من أزمة عاتية ، يتضح من كل هذا العرض لرؤية العديد من كبارالنقاد والشعراء وكذلك لبعض النماذج من كتاباتهم التافهة التي يحاولون بها تقليد بعض المارقين المنبتين من جذورهم ، واغتصاب الأضواء وحصد الجوائز دون وجه حق .

وأيًّا كان الأمر ، فأصحاب قصيدة النثر ظاهرة سيئة وغير صحية ؛ لأنها تتنافى مع الذوق العربي ، وتحرض على العنف والمعاصي بما أشاعته من فوضى في المناخ الثقافي .

هذا اللون من الكتابة مازال يفتقر إلي المعايير والقواعد ، بل مازال يفتقد إلى الشرعية ، والمتابع الجيد لهذه الظاهرة لا بد أن يتنبأ بأنها تحمل بذور فنائها ، لأنها بناء بغير أساس ، بل هي دعوة ماكرة

أُرِيدَ بها تحطيم التراث الثقافي للأمةوهو أحد مقومات كيانها القومي .

ولكن الله أحبط تلك المؤامرة ، وباءأصحابها بالخسران المبين ، لقد لفظت الذائقة العربية هذا الغثاء المسمَّى شعرًا والشعر منه براء ، رغم إلحاح أصحابه في الظهور لتسويق تجاربهم القبيحة . مثال هذا النص لأحدهم :

أنا وأنت مؤيدان بمحنة
من صنع باب النصر
تقرأ سيدات فهرس الموت :
الموت مدية ، سمانة الساق تعلو ،
لسان عاشقة فصوص
عندنا بات المصب مفخَّخًا بالضارعات ،
وبيت أمي مائلًا بالمشترين المنحل الخلفي ،
معرفة الفجائع طالعًا ما مسها
مثل الكلف بالجلاء ،

هنا الدساتير التي ما مسَّها أرق الرغائب
يا نجي فهاك مملكة .[1]

والغريب أن يسمَّى هذا الهوس الذي يخلو من أي لمحة فنية أو أي لمسة جمالية شعرا .

لم ينجح عرابو الحداثة الشعرية الجديدة ـ أو ما يسمي بقصيدة النثر ـ في هدم حاجز الغموض والتعمية الذي أقامه هؤلاء المتشاعرون ، فانصرف القراء عنهم ، وانفض المستمعون من حولهم في المنتديات ، ولم يبق أمامهم سوى أن يسمعوا أنفسهم .

ويعلق د . وليد القصاب على فساد مصطلح ـ قصيدة النثر ـ قائلا : « يُعد هذا المصطلح فاسدًا لقيامه بالجمع بين النقيضين : الشعر / القصيدة ، والنثر ، وهما لا يجتمعان ، لا في ثقافتنا العربية وحدَها بل عند نقاد غربيين كثيرين »[2] .

ويتضح من كل ما سبق أن ما يسمى بقصيدة النثر لا يرتكز على قواعد يمكن الاحتكام إليها ، وبالتالى لا يمكن التنبؤ بمستقبلها .

١ ـ حلمي سالم ـ الصباحية ـ ٣/ ١١/ ١٩٩١ م .
٢ ـ د . وليد القصاب ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد (٦٣) ٢٠٠٩ ص ١٧.

وقد حاول بعض كتّابها والمدافعين عنها ربطها بجذور عربية مثل كتابات النفري والتوحيدي ومصطفى عبد الرازق ، ثم الريحاني وجبران والرافعي وغيرهم ، ولكن دعواهم باطلة ؛ فكل هؤلاء لم يُسموا ما يكتبونه شعرًا ، ولم يطلقوا عليه مسمى قصيدة ، وإنما ظلت كتاباتهم في إطار النثر ، طبعًا مع الفارق الكبير بين ما كتبه هؤلاء الروّاد وبين ما يكتبه دعاة الحداثة المعاصرون .

والمتتبع لقراءة النثر الذي يحتوي على أخيلة شاعرية وغير ملتزم بوزن ولا قافية ، يجد تعريفات كثيرة أطلقها الشعراء والنقاد على هذا النثر ـ الذي يحفل به التراث العربي ـ ربما زادت على ثلاثين تعريفًا ، أشهرها : النثر الفني ، النثر الجميل ، الشعر المنثور ، النثر المشعور ، وأخيرًا القول الشعرى والنثيرة ، وظهرت حديثًا بعض التسميات التي تنمُّ عن سخرية وتهكم من هذا اللون ـ الغريب ـ الذي يريد أن ينتزع عباءة الشعر ويحاول ارتدائها وهي لا تناسب مقاسه ، من هذه التسميات : « شنر » و « شثر » ، يحاولون اختراع كلمة تكون مزيجًا من الشعر والنثر ، وهناك تسميات أكثر طرافة وسخرية مثل : « العصيدة » و « النعر » و « القصيدة الـخُنْثَى » .

ورغم محاولات بعض النقاد الترويج والتلميع لهؤلاء المتشاعرين ـ مثل إدوار الخياط الذي دافع عنهم في مقالات عديدة ، خاصة في مجلة الكرمل التي تضخمت صفحاتها بأسمائهم وكتاباتهم ـ فإن أكبر المدافعين عنهم لم يجد مناصًا من الاعتراف بضعفهم اللغوي وجهلهم بالتراث ، فيقول : « لا يخلو شعرُهم من عيوب البُتْم وآفاته ، فربما وجدنا كلمة نافرة او دَعِيَّة ، أو جملة مرتبكة غير سويَّة ، وربما انكسر الوزن وجمحت القافية فهي غير ذلول ، أو افلتت فليس إلى اللحاق بها من سبيل »[1] .

ويعرف الجميع أن مجلة أبداع حينما كان يرأس تحريرها الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي كانت المنفذ الرئيسي لهذه الموجة في مصر ، وأنه ـ أي حجازي ـ هو الذي تحمس لهم وقدمهم للساحة الأدبية ، وكان من أشد أنصارهم والمروجين لبضاعتهم الفاسدة ، ثم نراه الآن ، يحاول تبرير موقفه ، وينزع إلى انتقادهم ، ولكن في رفق ولين .

لقد اعترف مؤخَّرًا بأخطائهم في النحو والعروض ، وهي نفس العيوب التي ذكرها جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة

١ ـ أحمد عبد المعطي حجازي ـ من مقال بالأهرام بتاريخ ٤ / ٩ / ١٩٩١ م .

في حديثه عن أحدهم ، والغريب بعد ذلك أنه ـ أي عصفور ـ قَبِلَ الشخصَ نفسه عضوًا في لجنة الشعر بالمجلس ، وهي لجنةٌ يفترض أن تضم صفوة الشعراء ، ولنقرأ جزءًا من نصٍّ لهذا المحظوظ الذي عُيِّن في لجنة الشعر ، حيث يقول :

الغباريون الذين يعبرون الشارع
بعيون تشبه الحصى
وبأكتاف مائلة للوراء
الغباريون الذين يصطفون على
مقاعد المقهى
بجيوب محشوةٍ بالمسامير
ووجوه لا تشبه الوجوه
الغباريون الذين لا ظلال لهم
هل أدركوا أنهم لن يصيروا شجرًا
ولن يصادقوا الهواء ؟ [1]

وأترك الحكم للقارئ إذا كان ذلك الكلام يدخل في باب الشعر أم لا .

---

١ ـ محمد سليمان ـ مجلة « ضاد » التي يصدرها اتحاد كتاب مصر ـ اكتوبر ٢٠٠٧ .

الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها ، هي أن أصحاب هذا النوع من الكتابة عاجزون عن كتابة الشعر الحقيقي ؛ لأنهم لا يملكون أدواته ، بل لا يملكون الموهبة أصلا ، ولكنهم مصرون على القول بأنهم شعراء ، وعلى أن يناطحوا أصحاب المواهب الحقيقية ويرجموا الرُّوّاد والأعلام ، لا لشيء إلّا لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا مثلهم ، وهم منبهرون بالغرب ويرفضون التراث العربي برمته ويجاهرون بهذا الرفض .

وأمر آخر يلجأ إليه هؤلاء الحداثيون ، هو المخالفة لكل ما هو معروف ومتفق عليه ، لا لشيء إلّا حب الظهور ، ولفت الانتباه بالمنطق القائل : « خالفْ تُعرَفْ » .

أذكر قصة طريفة حدثت حينما دُعِيتُ إلى إحدى الندوات التي أقامها المجلس الأعلى للثقافة تكريمًا لأحد الأدباء ، فما أن دخلنا القاعة حتى وجدنا كتابًا موزعًا فوق المقاعد لكي يأخذه الحضور ، مفترضٌ أنه ديوانُ شعر ، ونظرتُ إلى الكتاب فإذا به بدون غلاف وبدون عنوان ، وما أن فتحتُه حتى وجدت الغلاف في الداخل في منتصف الكتاب ، فتعجبتُ وسألت بعض الحاضرين عن الحكمة

من هذا التصرف الغريب ، فأجاب بأنه نوع من التجديد والثورة على الأساليب التقليدية ! فقد تصور صاحب الكتاب ـ أو صاحبته ـ أن مجرد مخالفة المألوف هو إبداع وتجديد ، فهل هذا معقولٌ ؟! ، أو مقبول ؟!

أما الشاعر ـ والإعلامي ـ **فاروق شوشة** ، فقد قال بدبلوماسيته المعروفة إنه يرى أن قصيدة النثر في أفضل نماذجها الرفيعة تمثل رافِدًا من روافد حركة الشعر العربي المعاصر ، تثريها وتغذيها وتتجاور مع الروافد الأخرى .

إلا أنه يعود ويقرر أنها « ليست بديلًا عن التيار الأساسي في شعرنا العربي الذي سيظل إيقاعه ونغمه وموسيقاه في الدم والشرايين . . لذا فإن قصيدة النثر التي يكتبها هؤلاء الـمُدَّعون تمثل جناية على الشعر الحقيقي ـ كما اعترف بذلك أدونيس نفسه مؤخرا ـ لأن هؤلاء اللصوص الذين انفلتوا من كل إطار للقيم ، ومن كل ضابط للأخلاق ، ومن كل قيد للوزن العروضي ، قد أفسدوا بعملتهم الرديئة سوق الشعر . . وساعدهم بعض مدعي النقد المزيفين في ترويج هذه البضاعة الفاسدة ، الخالية من « ماء الشعر » كما خلت من ماء الحياة ، والحياء ، ولعل جهل النقاد بأوزان

الشعر وأعاريضه هو الذي جعلهم يتبنون قصيدة النثر ، لأنها لا تتطلب وعيًا بالأساس »[1]

ويمكن إجمال منهج الحداثة فى هذه القصيدة التى نختتم بها الموضوع ، وعنوانها :

دعاة الحداثة

أطَلُّوا علينا بوجهٍ دميمٍ ... وفكرٍ عقيمٍ يفوح خباثهْ
وقالوا سنأتي بنهجٍ فريدٍ ... وشعرٍ جديدٍ يسمَّى حداثهْ !!
وجاء الحصاد هزيلا حقيرا ... ولفظٍ بذيء شديد الرثاثهْ
مجونٌ وهزلٌ وجهلٌ شنيعٌ ... وتطفح منه صنوف الغثاثهْ
جميع مذاهبهم أفلست ... ولا تتعدى أمورًا ثلاثهْ
عداء العقيدة أو رفضها ... ونبذُ التراث وذمُّ الدماثهْ
مِن الأدعياء وأذنابهم ... يضجُّ القريضُ ويرجو إغاثهْ[2]

١ـ فاروق شوشة ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد (٦٣) ٢٠٠٩ ص ٢٧ .
٢ـ القصيدة للمؤلفة ـ انظر ديوانها (أنغام ثائرة) .

خلاصة

لعل الناظر إلى واقعنا الثقافي يتملكه العجب مما تموج به حياتنا الثقافية من تيارات غريبة عجيبة مريبة غامضة ، لا تُعرَف هويتها ولا يُدرَك كنهها ، والمؤسف حقًا أن من يثيرون الزوابع لا يعرفون اتجاهات الرياح ، إنهم يتحركون فوق خريطة لا يعرفون حدودها ولا يفهمون تضاريسها ، ومع ذلك يُصرُّون على محاولة السيطرة عليها والتحكم في مقدَّراتها ، فيجلبون لها ما شاءوا من نباتات غريبة لا تثمر إلا الحنظل أو لا تثمر شيئًا ، جاهلين أو متجاهلين طبيعة التربة ، غافلين أو متغافلين عمّا يحدثونه من دمار في صرح تراثنا الثقافي . وما أشنع هذا الداء الذي أصاب الشعر على أيديهم .

وما أفدح هذه الجناية التي أصابت ثقافتنا العربية في محاولة خبيثة مغرضة للقضاء على هذا البنيان الشامخ الذي طاول الزمن ، وعجز هؤلاء المغرورون عن الإتيان ببيت واحد من قصائده الرائعة ، لقد اتهموا الشعراء الحقيقيين بالتقليدية ، بينما هم بعد عقود قليلة يكررون أنفسهم ولا يجدون ما يقدمونه ، وأعلنوا إفلاسهم وعجزهم ، بينما ظل الشعر الأصيل الملتزم بالأوزان

والقوافي طوال عشرين قرنًا أو يزيد دون أن تنفد موضوعاته ، فبحورهُ شديدة الاتساع ، سخية العطاء ، مليئة باللآلئ ، ولكنها تحتاج إلى سباحين مهرة يمتلكون أدواتهم متسلحين بمواهبهم ، وليس إلى الأدعياء والعملاء وفاقدي الموهبة .

وأصحاب هذا الاتجاه يجردون الشعر من أصوله تمامًا ، بحجة التجديد ، ويُسقطون الوزن والقافية والموسيقى ، بينما اللغة العربية لغة نغم وإيقاع ، وهذا ما يُكسب الشعر نكهة خاصة .

واللغة العربية تمتاز بأنها أكثر لغات العالم فى عدد مفرداتها ، وفي كثرة أوزانها الشعرية ، وهذا يتيح للشاعر مجالًا واسعًا للحرية ، وعلى مدى عشرات القرون أنشد الشعراءُ العربُ قصائدهم في جميع مجالات الحياة ، ولم يجدوا عائقًا طالما أنهم يمتلكون الموهبة ورهافة الحس ورقة الشعور ، أما كتّاب ما يسمى بقصيدة النثر فهم يتبعون أنماطًا أوروبية ، وهى إن صلحت في لغتها لا تصلح في لغتنا ، غير أنهم في أكثر الأحايين يستوردون من النظريات ما استُهلِك بالفعل وبطل ، وكما هو معلوم بالبديهة أن كل علم أو فن أو حرفة أو صنعه لها أصولها وقوانينها ، فلماذا نجرد الشعر بالذات من قوانينه بحجة أنها قيود تحد من حرية المبدع ؟

إن هذه القيود المزعومة هي أصول الفن ، وإذا جُرِّد منها أصبح كلامًا عاديا في متناول الجميع ، فأيُّ فضل للمبدع ، بل أين هو الإبداع إذن ! ، إن ما يسمى بقصيدة النثر لا ينتمي للشعر بأي مقياس ولا يمت له بأي صلة .

« إن الفن الذي يقوم على أصول راسخة وقواعد متينة مثل الشجرة الشاهقة العلو الضاربة بجذورها في التربة ، فهى تملك مقومات البقاء حتى وإن نفضت أوراقها ، فسوف تعود للاخضرار .

وهى بذلك تختلف عن الطحلب الطافي الذي لا يمتلك جذورًا تربطه بالتربة ، فتتقاذفه الأمواج كيفما تشاء ، ويدفع به التيار أنى يريد ، فينساق مثل السمك الميت ، ثم لا يلبث أن يتعفن ويتحلل ، والغريب في الحداثيين أنهم يتنكرون لكل قواعد الشعر وأصوله ومميزاته وخصائصه ، ويتمسكون فقط باسمه ، ويصرون على تسمية تلك الكتابات التافهة شعرًا . فلماذا هذا الإصرار ؟! ولماذا لا يبحثون عن تسمية جديدة لكتاباتهم ويتركون الشعر للشعراء ؟ » .

غير أن استقراء التاريخ يؤكد أن هذه الحركة الهدمية سوف تنتهي حتمًا ولا محالة ؛ لأنها بناء بغير أساس ، ولأنها نبت شيطاني لا جذور له .

فكم من حركاتٍ عدمية سجلها التاريخ ظهرت ثم مضت ونُسيت ، وانتهت دون أن تترك أثرًا يذكر ، سوى سطور قليلة تدل على فشلها وتهافتها .

بينما دوحة الشعر الأصيل الضاربة بجذورها في عمق التاريخ والوجدان العربي سوف تبقى بإذن الله ، وسوف يعود زمان الشعر الجميل .

سـيرة ذاتية

للشاعرة نوال مهنى

الاسم الكامل : نوال مهنى أحمد أبو زيد . . شاعرة مصرية من محافظة المنيا .

المؤهل العلمي :- ليسانس آداب ـ قسم الفلسفة وعلم النفس .

العمل :- عملت مدرسة للفلسفة وعلم النفس بالمدارس الثانوية ، ومشرفة على الصحافة المدرسية بوزارة التعليم المصرية ، ثم معدة برامج من خارج الإذاعة والتليفزيون المصري ، وهي معتمدة كشاعرة في جميع الإذاعات المصرية .

كما أن دواوينها مختارة ومعتمدة في قوائم مكتبات وزارة التربية والتعليم المصرية للمدارس الثانوية ، وتنشر إبداعها في معظم صحف ومجلات العالم العربي .

كُرمت الشاعرة من جهات عديدة .

وحصلت على جائزة تفوق من الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ٢٠٠٢م .

ودرع النعيم من منتدى إثنينية النعيم الثقافية بالأحساء عام ٢٠٠٢م.

بالإضافة إلى العشرات من شهادات التقدير من الجامعات والروابط الأدبية ، وأقيمت عشرات الندوات لمناقشة أعمالها . وكُتبت عنها دراسات نقدية من أدباء ونقاد متخصصين .

كما صدر عنها كتاب (**شاعرة من مصر**) إعداد أحمد علي حسن صاحب ومدير مكتبة الآداب للنشر والتوزيع ، ويضم مجموعة من الأشعار والمقالات والدراسات لنخبة من أدباء ونقاد العالم العربي عن إبداعاتها .

كما قدمت عنها رسالة دكتوراه بعنوان : (**التواصل الشعري عند الشاعرة نوال مهنى**) تقدمت بها الباحثة شاهيناز أبو ضيف بجامعة الأزهر - فرع أسيوط .

كما فازت بالمركز الأول في مسابقة الشاعر الكبير / محمد التهامي للشعر العمودي في دورتها الأولى عام ٢٠٠٩ م عن ديوانها : ذات مرة .

والشاعرة نوال مهنى :

١ـ رئيسة الأديبات برابطة الأدب الإسلامي العالمية عن فرع الرابطة بمصر .

٢ـ عضو اتحاد كتّاب مصر .

٣ـ عضو في دار الأدباء بالقاهرة .

٤ـ عضو جماعة الأدب العربي بالإسكندرية .

٥ـ مقررة لجنة الأدب بجمعية محبي الفنون والآداب بالمنيا .

٦ـ رئيسة نادي الأدب بقصر ثقافة الجيزة .

٧ـ عضو جماعة شعراء العروبة ـ القاهرة .

٨ـ عضو رابطة الأدب الحديث ـ القاهرة .

٩ـ عضو جماعة الوسطية بالقاهرة .

١٠ـ عضو ملتقى المبدعات العربيات ـ القاهرة .

١١ـ عضو ملتقى الأربعاء وجماعة الفكر المعاصر .

١٢ـ عضو منظمة الكتّاب الأفريقيين الأسيويين .

١٣ـ عضو جمعية الكتّاب والإعلاميين الشبان .

لُقبت الشاعرة بشاعرة الصعيد . .وشاعرة الوادي .

إنتاجها الأدبي :

١ـ دواوين شعرية :

نبع الوجدان .

أغاريد الربيع .

ذات مرة .

فيض الأشجان .

أنغام ثائرة .

٢ـ دواوين شعرية خاصة للطفل :

أغاني الطفولة.

أناشيد الطفولة .

٣ـ مسرحيات شعرية :

الفارس والأميرة .

الجميلة والعراف .

٤ـ أزجال بالعامية المصرية :

ديوان موال من بلدي .

سلسلة حذر فزر (فوازير ثقافية للطفل خمسة أجزاء) .

٥ـ مؤلفات نثرية :

كتاب أوراق شاعرة "جزء أول" .

سلسلة أصل الحكاية خمسة أجزاء .

سلسلة رحلات ابن بطوطة ثمانية أجزاء .

شمس غاربة ـ رواية .

الصومعة مجموعة قصص قصيرة .

قصيدة النثر وتأثيراتها السلبية على الشعر العربي .

مؤلفات قيد الطبع :

١ ـ ديوان أهازيج الطفولة .

٢ ـ الجزء الثاني من كتاب أوراق شاعرة .

٣ ـ رواية البحث عن أطلنطا .

٤ ـ كتاب رُؤَى نقدية (دراسات وأبحاث أدبية) .

٦ ـ أزهار اللوتس . (مجموعة قصصية للطفل) .

فهرس

في البدء كلمة..... ٣
قصيدة النثر وتأثيراتها السلبية على العر العربي ٥
خلاصة ٤٤
سيرة ذاتية ٤٨

Alexandrina
0743344